النشاط العسكري لمناطق الشمال الأسباني خلال عصر الإمارة

(١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٩م)

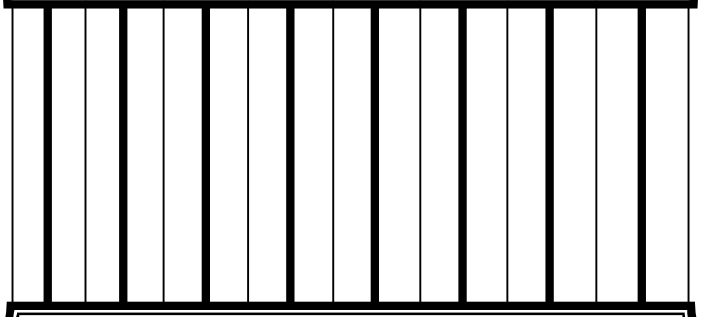

م.د. علي عطية شرقي

جامعة بغداد/كلية التربية (ابن رشد)

مُقَدِّمَة

أستطاع عبد الرحمن الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) انتزاع النصر من خصومه وتأسيس إمارة في الأندلس، لكن الثمن لم يكن سهلاً فقد كان الثمن باهظاً إذ ان انشغاله في الثورات الداخلية، انعكس بشكل كبير على سياسته الخارجية اتجاه الشمال الأسباني، حيث لقيٌ الإهمال مما أتاح المجال أمام مملكة(اشتريس)و(جليقيه) من ان تنمو وتتوسع برقعتها، والملاحظ أنها توسعت سياسياً وعسكرياً على حساب قرطبة وملوكها، التي أصبحت مضطرة الى الاعتماد على إمكاناتها الداخلية المحدودة، في مواجهة الخطر الزاحف اليها من الشمال[١] وتحديداً من هاتين المملكتين واللتين كانتا متربصتين بالحكم العربي الإسلامي.

وبما ان الاضطرابات وحركات التمرد لم تترك المجال للأمير عبد الرحمن الداخل لمقاومة الأسبان في الشمال، فقد وجد ملك جيليقية فرويلا الاول(١٤١-١٥٨هـ/٧٥٨-٧٧٤م) الفرصة مواتية، ليعبر نهر(دويرة) ونجح في مهاجمة الثغور الإسلامية ليستولي على أراض شاسعة من مناطق (قشتالة) و(شقوبية) وضمها الى مملكته[٢] والمفارقة السياسية ان هاتين المنطقتين سقطتا في عصر أمير يُعد من أقوى أمراء بني أمية.

إذ لم يتمكن الداخل من الرد على فرويلا الا عام(١٥٠هـ/٧٦٨م) وهو العام الذي شهد أول لقاء عسكري بين عبد الرحمن الداخل ونصارى

---

[١] الدوري، إبراهيم، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية والخارجية، ص٢٢.

[٢] المقري، نفح الطيب، ١/٣٣٠.

الشمال الأسباني، إذ وجه حملة بقيادة(بدر)[١] الى منطقة ألبة (alava) الواقعة شرق مدينة ليون(leon) لينتصر عليهم اخيراً وليأخذ منهم الجزية[٢] بعد ذلك وعاد بدر ومعه كل من شك في إخلاصه وولائه للدولة[٣].

والحقيقة التي بدأت واضحة تاريخياً بعد ذلك ان الثغور كانت احدى العقبات الكبرى التي واجهتها حكومة قرطبة، وبدلاً من ان تكون خط الدفاع الاول المفترض، صارت تخوم حدودها في الأندلس خليطاً مشوشاً من التناقضات، إذ افتقرت تلك المنطقة الى التجانس الضروري الاجتماعي والسياسي الذي يجعلها منطقة حدود مستقرة لتصبح كما سنلاحظ حدود تشكل تهديداً ضد حدود ومصالح قرطبة[٤] ولم تشير الروايات على حد علم الباحث عن اي اشتباكات اخرى بين الطرفين حتى عام(١٦٤هـ/٧٨٠م) إذ اجبرت الأوضاع الداخلية كلا الجانبين على العيش بسلام[٥].

انتهز عبد الرحمن الداخل فرصة وجوده في الشمال عام(١٦٤هـ/٧٨٠م) لردع ثوار سرقسطة بعد فشل حملة شارلمان ليقوم ببعض الغارات العسكرية، فأخترق بلاد البشكنس(bacos)

---

[١] بدر: له الفضل في قيام دولة بني أمية في الأندلس، إذ رافق الداخل في رحلة هروبه من الشام الى المغرب، ومهد له الأمور وهيئ له الأنصار وأنجز مهمته بنجاح عندما بعثه الداخل للأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤-٤٧.

[٢] ابن عذارى، البيان المغرب، ٥٤/٢ ؛ الصوفي، خالد، تاريخ العرب في الأندلس، ص٧٨.

[٣] الدوري، المرجع السابق، ص٢٠١.

[٤] اجيوس، ديونيسيوس، التأثير العربي في اوربا، ص١٣٢.

[٥] عنان، المرجع السابق، ص٢١٣.

وبنبلونه(Pamplona) وقلهرة(calabora) واجتاح ولاية شرطانية (cerdana) التي ارغم اميرها على تقديم الطاعة والولاء وأداء الجزية[١] ومنذ عام(١٦٤هـ/٧٨٠م) وحتى وفاته(١٧٢هـ/٧٨٨م) لم يشتبك الداخل مع نصارى الشمال الأسباني لا لحسن ولائهم وواجب طاعتهم بل الارجح لدينا ان الصراع كان مؤجلاً لانشغال الداخل في مواجهة الاضطرابات الداخلية[٢].

وبعد وفاة الداخل تولى الإمارة ابنه هشام(١٧٢- ١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) والذي لم تمكنه الأوضاع الداخلية في بداية عهده من استئناف الحملات العسكرية في الشمال الأسباني، ففي الوقت الذي انشغل فيه بمحاربة اخويه سليمان وعبد الله الطامعين بالحكم، انتهز الفرصة سعيد بن الحسين في طرطوشة[٣] وكذلك والي برشلونة مطروح بن سليمان واللذان استغلا الفراغ السياسي، أعلنا الثورة في الثغر الاعلى وخرجا على طاعة هشام بن عبد الرحمن[٤] فتوقفت الحملات العسكرية ضد الأسبان في الشمال حتى شاع بين الناس بأن المسلمين غير قادرين الا على قتال بعضهم البعض، وأفتى بعض الفقهاء بعدم جواز تأدية الخراج لامراء لا يعرفون الا قتال مواطنيهم[٥]، وقد القى هذا الأمر بضلاله على ميزان الصراع بين هشام والخارجين عليه.

---

[١] مجهول، اخبار مجموعة، ص١٠٤؛ الصوفي، المرجع السابق، ص٨٨.

[٢] ابن الدلائي، ترصيع الاخبار، ص٢٦.

[٣] طرطوشة(tortosa) وهي سفح جبل، لها سور حصين، وبها اسواق وضياع، بينها وبين البحر المتوسط عشرون ميلاً، ينظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٩٨.

[٤] ابن الدلائي، المصدر السابق، ٣٦.

[٥] ارسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٢٦.

وقد عقد هشام العزم على ان ينفي هذا الاتهام عن نفسه ويكسب ثقة مواطنيه من جديد، فأعلن الجهاد ضد الخارجين وجهز جيشاً قوامه اربعين الف مقاتل بقيادة عبيد الله بن عثمان[١] وسيره الى ألبة والقلاع، فمضى الجيش حتى التحم مع الأسبان بقيادة ملكهم برمودو(برمند)وحلفائه البشكنس وفرق جموعهم، ثم عاد الى قرطبة محملاً بالغنائم[٢].

عرف عن الأمير هشام انه كان يرسل جيشين في آن واحد، لذا نرى جيشاً آخر يخرج في نفس السنة(١٧٦هـ/٧٩٢م) بقيادة يوسف بن بخت[٣] متوجهاً الى جليقيه حيث يشتبك مع جيش برمودو على نهر بوربيا(burbia) فيهزمه ويقتل منه المئات من جنوده[٤]، وبعد هزيمة برمودو تنازل عن العرش لصالح الفونسو الثاني سنة(١٧٥هـ/٧٩١م)، وكان أول لقاء عسكري بين الأمير هشام والفونسو الثاني قد حدث عام(١٧٧هـ/٧٩٣م) حيث وجه اليه حملة بقيادة عبد الملك بن عبد

---

[١] عبيد الله بن عثمان، أول من تولى منصب الوزارة لعبد الرحمن الداخل، ثم جمع له منصبي الوزارة والكتابة لمكانته ونصرته، ينظر: المقري، نفح الطيب، ٤٤/٣ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٦٦.

[٢] ابن عذارى، المصدر السابق، ٦٣/٢ ؛ سالم، عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص٢١٦.

[٣] يوسف بن بخت، مولى عبد الملك بن مروان، دخل الأندلس في جند الشام مع طالعة بلج بن بشر القشيري، وأصبح من رؤساء الموالي في الأندلس، ينظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص٥٩.

[٤] ابن عذارى، المصدر السابق، ٦٣/٢ ؛ سالم، المرجع السابق، ص٢١٦.

الواحد ابن مغيث الرومي[١] اخترقت ألبة والقلاع من جديد[٢].

كما قاد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[٣] حملة اخرى الى منطقتي (ألبة والقلاع) عام(١٧٨هـ/٧٩٤م) تكللت نتيجتها بالنجاح[٤] وفي الوقت نفسه كان جيش آخر بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد كان متوجهاً الى جليقيه وينجح في مهاجمة(أفيدو) عاصمة الفونسو الثاني[٥] لكن هذا الجيش كان قد تعرض لمحنة كبيرة اثناء عودته، إذ وقع في كمين نصبه له أعدائه الأسبان فتكبد خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات[٦] الأمر الذي الذي دفع عبد الكريم بن عبد الواحد للخروج بالصائفة[٧] عام(١٧٩هـ/٧٩٥م) انتقاماً لذلك، فأخترق جليقيه، فتصف الروايات التاريخية من ان هذا الهجوم كان شديداً لدرجة ان الفونسو الثاني قد

---

[١] عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الرومي، جده مغيث بن الحارث ابن جويرة بن جبلة، دخل الأندلس مع طارق بن زياد، اما عبد الواحد بن مغيث فقد كان حاجباً للداخل ثم لابنه هشام، وقد اعقب ثلاث ابناء كان لهم مكانة عظيمة في ايام هشام وابنه الحكم، وهم عبد الملك وعبد الكريم وعبد الحميد، ينظر: مجهول، المصدر السابق، ص٦٢ ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ٦٤/٢.

[٢] ابن عذارى، المصدر السابق، ٦٤/٢.

[٣] عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الرومي، تبوأ مكانة كبيرة ايام الحكم الربضي، وكان له مكان محمود لا سيما في أخماد ثورة الربض(٢٠٢هـ/٨١٨م)، توفي سنة(٢٠٩هـ/٨٢٤م) ينظر: الخشني قضاة قرطبة، ص٦٤.

[٤] عمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، ص٥٩.

[٥] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٤٤/٦.

[٦] المصدر نفسه، ١٤٤/٦.

[٧] الصوائف: جمع صائفة، مشتقة من الصيف، وهي الحملات التي جرت من قبل الأمراء الأمويين نحو الممالك الأسبانية خلال فصل الصيف، حتى ان لفظ الصائفة انتقل الى اللغة الأسبانية في صورة(aceifa) ينظر: ذنون، عبد الواحد طه، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، ص٢٠.

تراجع الى الشمال وعسكر في حشود ضخمة ما بين حيز جليقيه والصخرة على خليج بسكاي، فطلب العون الفونسو الثاني من البشكنس وغيرهم من سكان تلك المناطق[١].

ويبدو ان الفونسو الثاني أراد تجنب الاصطدام مع قوات المسلمين، فهرب الى حصن في وادي نلون(nalon)[٢] لكنه سرعان ما أنتقل او هرب من هذا الحصن الى حصن آخر تاركاً الذخائر والأطعمة بيد عبد الكريم الذي سارع بإرسال فرج بن كنانة[٣] لمطاردته، وكاد الأخير ان يقع في الاسر لو لا انه نجح من الإفلات من جديد من الحصار والأسر تاركاً جميع معداته وذخائره[٤].

وكانت هذه آخر الحملات التي أرسلها الأمير هشام الى الشمال الأسباني، إذ وافته المنية سنة(١٨٠هـ/٧٩٦م) وقد خسرت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس واحداً من أهم وأنشط الأمراء الأمويين في مجال الحروب مع الأسبان، خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار عدد الغزوات التي قام بها في المناطق الشمالية بالنسبة الى مدة حكمه التي لم تتجاوز الثماني سنوات[٥] ليتولى الأمر من بعده الأمير (الحكم بن هشام) ليبدأ عهده (١٨٠هـ/٧٩٦م) بإرسال صائفة الى الشمال الأسباني بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد، فقسم الجيش الى ثلاثة أقسام، وجعل على كل قسم

---

[١] المقري، المصدر السابق، ٣٣٨/١.

[٢] ابن عذارى، المصدر السابق، ٦٥/٢.

[٣] فرج بن كنانة بن نزار بن مالك من أهل شذونة، استقصاه الأمير الحكم بن هشام بقؤطبة سنة(١٩٨هـ/٨١٣م) توفي سنة(٢١٥هـ/٨٣٠م) ينظر: الخشني، المصدر السابق، ص٦٣.

[٤] ابن عذارى، المصدر السابق، ٦٥/٢.

[٥] الصوفي، المرجع السابق، ص١٢٣.

رئيس، وأمر كل واحد منهم ان يُغير ويهجم على الناحية التي وجه اليها، فأغاروا وغنموا [١].

وفي عام(١٨٧هـ/٨٠٣م) قاد عبد الملك بن عبد الواحد حملة عسكرية لتأديب حكام (ألبة والقلاع)ولكنها لم تترك أثراً يذكر، وكانت لا تختلف عن الحملات العسكرية التقليدية الأخرى التي كانت تشق طريقها كل صيف الى الشمال الأسباني تهديدا اوً تأديباً لهذه المناطق[٢] ثم أرسلت صائفة آخرى بقيادة هشام بن الحكم عام(١٩٢هـ/٨٠٨م) باتجاه جليقيه وعادت مظفرة[٣] وربما تكون هذه الصائفة او مثيلاتها غارات خاطفة لم يتمخض عنها اي نتائج حاسمة، عدا ان المعلومات عنها عامة ومقتضبة.

اما الأوضاع الداخلية في عصر الحكم فكانت متردية نوعاً ما، وهذا ما يفسر لنا ضعف الحملات التي وجهت الى الشمال الأسباني، فلم يكد يلتقط أنفاسه بعد قضائه على الثورات والاضطرابات، حتى قامت مؤامرة جديدة للإطاحة بحكمه عام(١٨٩هـ/٨٠٤) فأكتشفها وقضى عليها، ليتفرغ بعد ذلك لثورة بربر ماردة التي استمرت حوالي سبعة سنوات ابتداءاً من عام(١٩٠هـ) [٤].

وقد كان الملك الفونسو الثاني يراقب الأوضاع والصراعات، لذلك فهو لم يفوت هذه الفرصة، فقام بحملات متوالية على المسلمين، وقد اتسمت حملاته بأنها ذات طابع ديني، بمعنى ان هذا الملك الأسباني كان شديد التعصب لدينه وبلاده[٥] هذا الأمر هو الذي جعله يعبر نهر دورو

---

[١] ابن عذارى، المصدر السابق، ٢/٦٩.

[٢] بيضون، ابراهيم، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، ص٢٣٦.

[٣] سالم،المرجع السابق، ص٢٢٥؛ الصوفي، المرجع السابق، ص١٥٧.

[٤] ابن عذارى، المصدر السابق، ٢/٧٠.

[٥] عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢٣٧.

عام(١٩٤هـ/٨١١م) ليهاجم جيش المسلمين ويتوغل في حملاته حتى مدينة(قلنبرية) و(اشبونة) في غرب الأندلس[١] لبعدها عن حكومة قرطبة وضعف وسائل بتلك المناطق[٢].

وما ان وصلت الإخبار الى الأمير الحكم بما يعاني أهالي الثغور من متاعب جراء حملات الأسبان العسكرية، فضلاً عن معاناة الأسرى المسلمين، فما كان من الحكم إلا ان يتحمس ويتأثر، وبالتالي أعلن النفير وقاد الحملة بنفسه نحو منطقة وادي الحجارة، فتوغل وأفتتح الحصون وأستطاع تخليص عدد من الاسرى المسلمين، كان من بينهم امرأة قد استغاثة به، فقالت: والله لقد شفى الصدور وأغاث الملهوف، فأغاثه الله وأعز نصره، فأرتاح لقولها وبدأ السرور في وجهه[٣].

يبدو ان حجم الرد الإسلامي كان يحدده مقدار التهديد الأسباني، الذي أخذ يزداد خطورة مع الزمن، فقبل ذلك كان هدف الأسبان الحفاظ ما تبقى بأيديهم، اما الآن وبسبب التناحر الإسلامي فقد فرض واقع جديد، فأنقلبت الصورة إذ أصبح المسلمون هم الذين يسعون للحفاظ عن أراضيهم.

ورغم حالات التناحر والصراع داخل البيت الاسلامي الحاكم، لكن يمكن القول من ان المسلمين حققوا انتصارات وان كانت مؤقتة، فكان عام(٢٠٠هـ/٨١٦م) تاريخ إحدى الوقائع المشهودة بين المسلمين والأسبان الذين اضطروا للتقهقر إمام المسلمين حتى وصل تراجعهم الى نهر آرون(oron) وهنا حجز النهر بين الجانبين، وفشل اي منهما في الوصول الى نصر حاسم، وتشير الروايات بأن الجيش الأسباني ملئ النهر بالعوائق كالأخشاب كي يمنعوا المسلمين من اجتيازه، كما صنعوا

---

[١] المرجع نفسه، ق١، ص٢٣٨ .

[٢] المرجع نفسه، ق١، ص٢٣٨.

[٣] مجهول، السابق، ص١١٧؛ ابن عذارى، السابق، ٧٣/٢.

عوائق آخرى كحفر الخنادق مثلاً، فأكتفى القائد عبد الكريم ابن عبد الواحد بما حققه ورجع بالمسلمين الى الجنوب[١].

كان ذلك آخر لقاء عسكري بين الأمير الحكم والأسبان، إذ انشغل في إخماد ثورة الربض(٢٠٢هـ/٨١٨م) ثم توفي بعد ذلك بسنوات قليلة(٢٠٦هـ/٨٢٢م)[٢] ليتولى الأمر من بعده الأمير عبد الرحمن الثاني(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) والذي أتصف عصره بالنشاط العسكري وان كان نسبياً في مجال حروبه مع الأسبان في الشمال، فكانت السياسة الجهادية محكاً حقيقياً للنظام الحاكم في الأندلس، فمن خلالها يمكن تقيم نجاح او فشل الأمير الحاكم الإسلامي[٣] ولقد وجه عام(٢٠٨هـ/٨٢٣م) أول حملة عسكرية له نحو الشمال بقيادة القائد عبد الكريم بن عبد الواحد، وكالحملات التقليدية اتجهت نحو مناطق ألبة والقلاع عن طريق ممر جرنيق(guernico)[٤] وهزم جموع الأسبان مما اجبر حكام تلك المناطق على دفع الجزية وإطلاق سراح الأسرى المسلمين[٥].

وفي العام التالي لحكم الأمير عبد الرحمن تحرك جيش إسلامي نحو الشمال لكنه لم يتخط الحدود الإسلامية، حيث فاجأ المرض قائد الجيش عبد الكريم بن عبد الواحد وكان مرضه الذي توفي به، فعين الأمير مكانه القائد أمية بن هشام[٦].

---

[١] ابن الأثير، السابق، ٣١٨/٦؛ ابن عذارى، السابق، ٧٥/٢.

[٢] بيضون، المرجع السابق، ص٢٢٩.

[٣] المرجع نفسه، ص٢٥١.

[٤] ابن عذارى، المصدر السابق، ٨٢/٢.

[٥] المقري، المصدر السابق، ٣٤٤/١-٣٤٥.

[٦] ابن عذارى، المصدر السابق، ٨٢/٢؛ الصوفي، السابق، ص٢٠١.

ثم خرجت حملة اخرى عام(٢١٠هـ/٨٢٥م) بقيادة حاكم جيان فرج بن مسرة[١] فتوغل الأخير في المناطق الشمالية واستطاع من افتتاح حصن القلعة وعاد منتصراً[٢] بعد ذلك خرجت حملة بقيادة عبد الله البلنسي فوصل مدينة برشلونة وبقي فيها أيام ثم عاد[٣] ثم توقفت الحملات العسكرية مرة اخرى ولم تستأنف إلا في عام(٢٢٣هـ/٨٣٨م) إذ أرسلت ثلاث حملات متتالية الى مملكة اشتريس، أولها حملة بقيادة اخيه الوليد ابن الحكم فدخل جليقيه من جهة الغرب وغنموا وعادوا[٤]، وحملة اخرى بقيادة سعيد الخير أخ الأمير عبد الرحمن الثاني، وقد تمكن من دخول ألبة قشتالة القديمة، والحملة الثالثة بقيادة أخيه أمية ونجح في هجومه على حصن القرية(algueria)[٥].

وفي العام التالي(٢٢٤هـ/٨٣٩م) أرسل الأمير جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسي، فأخترق ألبة في جليقيه، الأمر الذي دفع الفونسو الثاني الى الانتقام، فأغار على مدينة سالم، فسار اليه القائد فرتون بن موسى وقاتله، وأستطاع من ان يهزمه ويهدم الحصن الذي بناه أهل ألبة بالثغور نكاية بالمسلمين[٦].

وبلا شك أن تدمير القلاع والحصون الأسبانية والاستيلاء على ما تحويه من ذخائر ومؤن ألحق ضربات موجعة بالاقتصاد الأسباني الفقير،

---

[١] فرج بن مسرة بن سالم، من موالي بني مخزوم، تنسب اليه مدينة الفرج، التي كانت تسمى وادي الحجارة احدى مدن الثغر الاوسط، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٩.

[٢] ابن الاثير، المصدر السابق، ٤٠٠/٦.

[٣] ابن عذارى، المصدر السابق، ٨٣/٢.

[٤] نفسه، ٨٥/٢.

[٥] سالم، المرجع السابق، ص٢٤٠.

[٦] ابن خلدون، العبر، ١٦٥/٤.

لكن الحروب ضد الأسبان كان لها ايضاً نتائج سلبية على الأوضاع الاقتصادية للمسلمين، إذ أصبحت الإغارة على الثغور الإسلامية من أجل النهب والسلب تشكل أحد الأسباب التي تدفع الأسبان للضغينة وأعداد العدة للحروب وهذا ما زاد من متاعب قرطبة.

وفي عام(٢٢٥هـ/٨٤٠م) خرج الأمير بنفسه الى جليقيه فطالت غزواته فناله التعب[١] ويبدو ان الأمير لم يعتد حياة الغزو والجهاد وما فيها من تعب ومشقة، وكان لحنينه لقرطبة وحياة اللهو والترف مسؤولة ايضاً عن جزء كبير من عملية التراخي والتعب الذي لحق به، حتى انه دعى الشاعر ابن شمر[٢] ووصف له أرقه وحنينه لمن في قرطبة فنظم له قصيدة كان مطلعها:

عدائي عنك مزار العدى.....وقودي إليهم لهاماً مهيبا [٣]

وهذا الأمر جعل بعض المستشرقين يتهموه تاريخياً بقلة الكفاءة العسكرية والتي كان من نتائجها عدم نجاحه في غزواته بدليل انه لم يعد يكثر من الخروج للغزوة بنفسه[٤].

وفي عام(٢٣١هـ/٨٤٦م) أرسل عبد الرحمن ابنه محمد على رأس حملة وصلت الى مدينة ليون(leon) فحاصرها ورمى أسوارها بالمنجنيق، فخاف أهلها وخرجوا فارين تاركين ما فيها من غنائم، فحاولوا هدم سورها فلم يستطيعوا لسماكته إذ بلغ عرضه سبعة عشر ذراعاً[٥].

---

[١] ابن عذارى، المصدر السابق، ٢/٨٥.

[٢] عبد الله بن شمر من أهل وشقة، يكنى ابا محمد، كانت له عناية بالعلم، وله رحلة، شاعراً، ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٣.

[٣] ابن عذارى، المصدر السابق، ٢/٨٦.

[٤] سالم، المرجع السابق، ص٢٤٠.

[٥] المقري، المصدر السابق، ١/٣٤٦.

بعد ذلك وفي سنة(٢٣٧هـ/٨٤٦م) تحديداً أرسل بالصائفة ابنه المنذر نحو (ألبة والقلاع) وقاد الحملة معه عبد الواحد الاسكندراني فغزا تلك النواحي وأفتتح بعض الحصون[١]، وآخر غزوة سيرها الأمير عبد الرحمن نحو الشمال كانت عام(٢٣٨هـ/٨٥٢م) عرفت باسم وقعة البيضاء(albeda)[٢] أنتصر فيها الجيش الاسلامي نصراً كبيراً، مع ان اليوم الاول لم يكن في صالحهم[٣].

ثم وصل الى سدة الحكم الأمير محمد(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) في ظروف يصفها المؤرخون كانت تشوبها الاضطرابات وتسودها الثورات، حتى انه لم تعد سلطة الأمير تمتد الى أكثر من إقليم قرطبة، وتعددت أجناس الثوار، فمن المولدين أعلن موسى بن موسى منطقة الثغر الأعلى في شمال شرق الأندلس ولاية مستقلة عاصمتها سرقسطة[٤] وفي غرب الأندلس أستقل عبد الرحمن بن مروان الجيليقي في بطليموس، وكذلك عمر بن حفصون الذي أتخذ حصن ببشتر(bobastro) مركزاً له[٥]، ولم تفت العرب عملية التقسيم هذه، حيث اتخذ بنو الحجاج من العرب اليمانية من اشبيلية وقرمونة قواعد لهم[٦].

---

[١] ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ص١٤٤.

[٢] البيضاء(albada) مجاورة لمدينة بقيرة من بلدة بنبلونة، أنشأ بها موسى بن موسى القسوي حصناً صغيراً، وتشير الروايات ان موسى هذا لم يكد يتم بناء هذا الحصن حتى حاصره ملك جليقيه(اردون الاول) فخرج موسى للقائه، ودارت بين الطرفين معركة كبيرة عرفت باسم كلابيجو(clavijo) وان المسلمين اصيبوا بهزيمة، ينظر: ابن حيان، المصدر السابق، ص٢٥٥،١٥٦.

[٣] ابن حيان، المصدر السابق، ص١٥٦.

[٤] سالم، المرجع السابق، ص٢٤٣.

[٥] ابن عذارى، المصدر السابق، ١٠٤/٢.

[٦] بيضون، المرجع السابق، ٢٦٧.

مع كل هذه الأزمات، إلا ان الأمير لم يتجاهل خطر الأسبان في الشمال الذي اخذ يزداد ويتوسع، فحاول ان يضع حداً لذلك، فأرسل حملتين أحداهما بقيادة أخيه (الحكم بن عبد الرحمن) والأخرى بقيادة (موسى صاحب تطلية)(tudela)[١] وهاتين الحملتين لا تعدو ان تكونا محاولة لرد العدوان وإظهار قوة المسلمين، وما جاء العام(٢٤١هـ/٨٥٥م)حتى قاد الأمير محمد الصائفة وكان قد كتب الى موسى وأهل الثغور ان يتوافدوا إليه، فدخلوا جميعا الى (البة والقلاع) وبلغوا أقصى جليقيه وفتحوا الكثير من الحصن[٢].

بعد هذا التاريخ انشغل الأمير محمد بظهور النورمانديين على سواحل الأندلس عام(٢٤٥هـ/٨٥٩م) كما شغله أيضا ظهور قوة نبرة وتحالفها مع بني قسي الذي عادوا للتمرد، لكن في سنة(٢٤٩هـ/٨٦٣) وجهت حملة الى جليقيه بقيادة (عبد الرحمن بن الأمير محمد) والقائد (عبد الملك بن العباس)، وقد تميزت هذه الحملة بكثرة القوات المشتركة من كل الصنوف، وقد بلغ عدد المتطوعين فيها حوالي اثنان وعشرون ألف مقاتل[٣] وتشير الروايات بأن خسائر الأسبان كانت كبيرة، حيث قتل من قادتهم تسعة عشر قائدا وهذا يشير الى عنف المعركة[٤].

ولم يترك الأمير محمد فرصة لأعدائه للاسترخاء، فأعاد الكرة ضدهم في الأعوام (٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣هـ) وبعد ذلك توقفت الحملات الى الشمال الأسباني حتى عام(٢٦٦هـ/٨٨٠م) وذلك بسبب انشغال

---

[١] الصوفي، المرجع السابق، ص٢٤٦.

[٢] ابن حيان، المصدر السابق، ص٣٠٤.

[٣] الصوفي، المرجع السابق، ص٢٤٦.

[٤] ابن حيان، المصدر السابق، ص٣١٨.

الأمير محمد بقمع فتنة النصارى المعاهدين الذين حرضوا أهل طليطلة وماردة عن الثورة[١].

وقد أنتهز الفونسو الثالث هذا الوضع وشجع كل خارج عن حكومة قرطبة، فمد يد العون وتحالف مع ابن مروان الجليقي، وأستطاع الطرفان هزيمة قوات الأمير التي قادها(المنذر بن محمد) والوزير (هاشم بن عبد العزيز)، فأسر الأخير وأرسل الى ليون[٢].

فكر الأمير باتخاذ خطوة جديدة في الحرب ضد أعدائه إلا وهي غزو جليقيه من جهة البحر، فأصدر أوامره ببناء السفن فلما تم له ذلك وجهها الى المحيط الاطلسي عام(٢٦٦هـ/٨٧٩م) بقيادة قائد الأسطول عبد الحميد بن مغيث، لكن لسوء الحظ داهمت العواصف السفن ودمرتها قبل بلوغها الهدف، وأضطر الباقون من العودة، ثم فكر الأمير بتحصين الثغور، فأقام عدد من القلاع الدفاعية الحصينة، مقابل ذلك فأن الأسبان في الشمال قاموا أيضا ببناء المدن الحصينة بعد ان وصلت حدودهم حتى نهر دويرة[٣] وقد فرضت هذه المعاقل الحصينة على الطرفين واقعاً جديداً، فنجد ان غزوة عام(٢٧٠هـ/٨٨٣م) والتي خرجت بقيادة المنذر وهاشم قد انتهت بعقد هدنة، وبالطبع فأن الفونسو الثالث قد رحب بهذه الهدنة لأنه اراد ان يتفرغ للازمات الداخلية[٤].

وبعد وفاة الأمير محمد عام(٢٧٣هـ/٨٨٦م) جاء الخطر الجسيم من الداخل خاصة بعد قيام ثورة عمر بن حفصون، كما كان (بنو قسي) و(بنو الطويل) وغيرهم قد تنازعوا فيما بينهم من أجل السيادة على الثغر الأعلى حتى وصل الأمر ان استعانوا بملوك جليقيه ونبرة ضد بعضهم

---

[١] ابن عذارى، المصدر السابق، ١٠١/٢.

[٢] المصدر نفسه، ١٠٣/٢ .

[٣] ابن حيان، المصدر السابق، ص٣٩٨.

[٤] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٩٠.

البعض[1] وهو ما سرع بانهيار الدولة وساعد الأسبان لتحقيق مأربهم فيما بعد ليستعيدوا سيطرتهم شيئاً فشيئاً.

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص١١٥،١٢٤.

الخاتمة:

مما سبق يتضح لنا بأن الحملات العسكرية خلال هذه الفترة التاريخية، قد اتخذت شكلاً تقليدياً وزمناً ثابتاً وهو إرسال حملة أو صائفة كل عام تقريباً، كما ان هذه الحملات وردت باقتضاب في الروايات التاريخية، ويبدو أنها ذات طابع وقائي بالدرجة الاولى، فالمسلمون في الغالب كانوا يردون العدوان او يحمون الثغور، مما أعطى الأسبان الفرصة لإعادة ترتيب صفوفهم لاستئناف حربهم ضد المسلمين من جديد.

ويبدو أيضا ومن خلال تركيز الروايات التاريخية على حصول المسلمين على الغنائم يدعو التفكير والقول ان المكاسب المادية والاقتصادية كانت تُعد من الدوافع الأساسية للحملات العسكرية على الشمال الأسباني.

ورغم عبارات التعظيم التي استخدمها المؤرخون لدور الأمراء الأمويون الجهادية، إلا ان هذه الحملات لم تتعدى من ان تكون شكلاً من إشكال الاستعراض العسكري كان الهدف منه إظهار القوة والهيبة ووسيلة للتهديد والوعيد لتوفير الأمن لاسيما لمناطق الثغور، ثم العودة سريعاً للجنوب حيث التمردات والثورات المتلاحقة، ولم يكن هدف الحملات العسكرية القضاء على الدويلات الأسبانية، فذلك لم يعد ممكناً لعدم توفر الوقت والإمكانيات، حتى أصبح الأمراء الأمويون منذ النصف الثاني من عصر الإمارة يميلون الى السلم استسلاما ورهبة، والملاحظ ان المعاهدات السلمية لم تقم على قدم المساواة، كما أنها كانت عرضة للخرق من الجانب الأسباني عندما لا تستجيب لمصالحها أو رغباتها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. ابن الأثير، ابو الحسن، عز الدين علي بن الكرم(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، دار صادر، ب.ط، بيروت، ١٩٦٩.

٢. البكري، ابو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) المسالك والممالك، تح، عبد الرحمن الحجي، دار الرشاد، ط١، بيروت، ١٩٦٨.

٣. الحميري، ابو عبد الله، محمد بن عبد المنعم(ت٨٦٦هـ/١٤٦١م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤.

٤. ابن حيان، ابو مروان، حيان بن خلف(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) المقتبس من ابناء أهل الأندلس، تح، محمود علي مكي، لجنة أحياء التراث، ب.ط، القاهرة، ١٩٩٤.

٥. الخشني، ابو عبد الله، محمد بن الحارث القيرواني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) قضاة قرطبة وعلماء افريقية، مراجعة، السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤.

٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط، خليل شحاتة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، ب.ط، بيروت، ب.ت.

٧. ابن الدائي، احمد بن عمر(ت٤٧٨هـ/١٩٨٥م) ترصيع الإخبار وتنويع الآثار، تح، عبد العزيز اللاهوني، مط، معهد الدراسات الإسلامية، ب.ط، مدريد، ١٩٦٥.

٨. ابن عذارى، ابو العباس، احمد بن محمد المراكشي(كان حياً عام ٧١٢هـ/١٣١٢م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، ج.س.كولان وليفي بروفنسال، ط٥، بيروت، ١٩٩٨.
٩. ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) تاريخ افتتاح الأندلس، تح، إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ب.ط، بيروت، ١٩٨٠.
١٠. المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٦٨.

ثانياً: المراجع

١١. اجيوس، ديونيسيوس وريتشارد هيتشكوك، التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى، تر، قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والأبحاث الإنسانية، ط١، ٢٠٠٠.
١٢. ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الإخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
١٣. تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، ب.ط، بيروت، ب.ت.
١٤. بيضون، ابراهيم، الدولة العربية الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة، ب.ط، بيروت، ١٩٧٨.
١٥. الدوري، ابراهيم وياسر خضير، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية والخارجية، دار الرشيد للنشر، ب.ط، بغداد، ١٩٨٢.

١٦. ذنون، عبد الواحد طه، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، المورد، عدد١، ١٩٨٨.

١٧. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة للطباعة، ب.ط، بيروت، ١٩٨٠.

١٨. الصوفي، خالد، تاريخ العرب في الأندلس(عصر الإمارة) زمن عبد الرحمن الداخل الى عبد الرحمن الناصر، منشورات جامعة قار يونس، ١٩٨٠.

١٩. عمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الإسلامية بيد الأسبان، ط١، د.ن، ١٩٩٩.

٢٠. عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى عهد الناصر، مؤسسة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٦٠.

٢١. مؤنس، حسين، فجر الإسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٥٩.

ABSTRACT

This study sheds light the importance of military activity to the Princes of Andalusia on the northern areas of Spain, specifically from the reign of Prince Abdul Rahman (138-172/755-788) to the death of Prince Muhammad bin Abdul Rahman (273/886), is the period of military campaigns and skirmishes between the two sides. In fact, the historical accounts indicate that internal disturbances and sedition did not leave sufficient time for the Prince to fight the Spaniards in their areas, and also failed to respond to their attacks, but in (150/768) in which the first military encounter between the two, and also the novels describe Spaniards North were men and violent war with courage and Valor, as was their leading the fighting themselves, which reflected the positive impact on the morale of the Spanish soldiers.

The severity of the situation in the South, the Spanish began their war against the Muslim attack in northern areas, the plan gave fruit especially in the second half of the era of the Principality, where Muslim campaigns are few and weak, which not only prevention campaigns to repel aggression, as well as the Muslim casualties not easy even when I moved to defend the Islamic Emirates of stomata in stomata-didn't work out-but fell to Spanish attacks , Became Princes fall of strategic value in this period tend to peace treaties, and that you do not equal or guarantee.